الفصل العاشر

حلقات للذكر .. أم حفلات للزار ؟ !

من الأمور التى لا يستطيع العقل التسليم بها : الطريقة التى يؤدى بها الصوفيون الذكر !!

والذكر — كما يقول الامام القشيرى — « ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى .. بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد الى الله تعالى الا بدوام الذكر ..

« وهو على ضربين : ذكر باللسان ، وذكر بالقلب ..

« فذكر اللسان .. يصل به العبد الى استدامة ذكر القلب — والتأثير لذكر القلب — فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه ، فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه »[1] اهـ .

ولا شك أن الاجتماع لذكر الله ، والاستماع لكتابه ، والتوجه اليه بالدعاء .. عمل صالح ، وهو من أفضل القربات والعبادات فى جميع الأوقات ..

ولا شك أيضا .. أن ذكر الله هو من أشرف العبادات ، وأنفس ما يجرى على اللسان من كلمات ، وأزكى ما يمر بالخاطر من صور ، وما يثبت فى القلوب من معان .. كما أنه مفتاح الصلة المباشرة بالله الكبير المتعال .. ما أن يشرق معناه فى نفس العبد وتتحرك به شفتاه حتى يذكره الله تعالى ببره ولطفه ، ويصحبه بتأييده وعونه[2] .

فالله تعالى يقول فى محكم التنزيل ، فى أسلوب آمر : **« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا »**[3] .

---

(١) الرسالة القشيرية — مرجع سابق ، ص ١٠١

(٢) كما يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، فى كتابه « الجانب العاطفى من الاسلام » .

(٣) الأحزاب : ٤١ ، ٤٢

أى : اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ، فلا تخلو أبدانكم عن ذكره فى حال من الأحوال ، وسبحوه فى الصباح والمساء : بالتهليل ، والتحميد ، والتمجيد ، والتقديس ..

ويقول جل شأنه حاثا عباده المؤمنين على الذكر : « **فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** »(٤) .

أى : فاذا فرغتم من صلاتكم ، فاذكروا الله على كل أحوالكم — قياما وقعودا ومضطجعين على جنوبكم — اذكروه بالتعظيم والدعاء ..

ويقول ابن عباس — رضى الله عنهما — : ما فرض الله على عباده فريضة ، الا جعل لها حداً معلوما غير الذكر فقال : « **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** » .. بالليل والنهار ، وفى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، والسر والعلانية .. وعلى كل حال ..

كما يقول تعالى مذكرا عباده ومعلما لهم : « **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** »(٥) .

أى : اذكرونى بطاعتى ، أذكركم برحمتى ومغفرتى ، واشكروا لى — أيها المؤمنون — فيما أنعمت به عليكم من الاسلام والهداية للدين الحق . ولا تجحدوا احسانى اليكم فأسلبكم نعمتى ..

ويقول جل شأنه « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون . واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** »(٦) .

أى : اذا قرىء عليكم — أيها المؤمنون — القرآن ، فاصغوا لتلاوته لتتفهموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه — يأمرهم تعالى بالانصات والسكوت عند تلاوة القرآن ، اعظاما له واحتراما ، ومخالفة للمشركين الذين قالوا : « **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** »(٧) — واسكتوا ولا

---

(٤) النساء : ١٠٣ (٥) البقرة : ١٥٢
(٦) الأعراف : ٢٠٤ ، ٢٠٥ (٧) فصلت : ٢٦

تلغوا عند تلاوته ، ليرحمكم ربكم بتأدبكم بآدابه ، واذكر ربك — أيها السامع للقرآن — فى سرك ، تخشعا وتواضعا لله ، وخوفا من عقابه ، وليكن دعاؤك باللسان فى سر وخفاء ، لا جهارا ، ولا تكن من السامعين اللاهين عن عبر القرآن وعظاته ..

وقد ورد فى صحف ابراهيم — عليه السلام — قول الحق سبحانه : « عبدى ، انظر الى السماء وارتفاعها ، والأرض واتساعها ، والأفلاك ومدارها ، والشمس وشعاعها ، وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، وما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر .. الكل يشهد بجلالى ، ويقر بكمالى ، ويعلن بذكرى ، ولا يغفل عن شكرى » ..

وفى الحديث القدسى : « من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه : سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل » ..

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل » ، قالوا : يارسول الله ، ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع »[٨] ..

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الورق والذهب ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ ، قالوا : وما ذاك يارسول الله ؟ قال : « ذكر الله عز وجل دائما » ..

---

(٨) رواه ابى شيبة فى المصنف والطبرانى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : « أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة : قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، وزوجا لا تبغيه حوبا فى نفسها وماله »(٩) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ..

وعن أنس رضى الله عنه : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى ، لا يريدون بذلك الا وجهه ، الا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفورا لكم ، قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات » ..

بل ان الله تعالى يبشر عباده الذاكرين بأنه يذكرهم فى الملأ الأعلى ، وفى ملأ خير من ملئهم .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى .. ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم ، وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة »(١٠) .

يقول النووى : قوله عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى » ، قال القاضى : قيل معناه : بالغفران له اذا استغفر ، والقبول اذا تاب ، والاجابة اذا دعا ، والكفاية اذا طلب الكفاية ..

« وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو ، وهذا أصح ..

« وقوله تعالى : « وأنا معه حين يذكرنى » ، أى معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية .. وأما قوله تعالى : « **وهو معكم أينما كنتم** »(١١) ، فمعناه : بالعلم والاحاطة ..

« وقوله تعالى : « ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » ، قال المازرى : النفس تطلق فى اللغة على معان ، منها : الدم ، ومنها :

---

(٩) رواه الطبرانى .
(١٠) رواه مسلم .
(١١) الحديد : ٤

نفس الحيوان وهما مستحيلان فى حق الله تعالى .. ومنها : الذات ، والله تعالى له ذات حقيقة ، وهو المراد بقوله تعالى : « فى نفسى » ، ومنها « الغيب » وهو أحد الأقوال فى قوله : « **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك** » (١٢) ، أى : ما فى غيبى ، فيجوز أن يكون مراد الحديث : أى « اذا ذكرنى خاليا » أثابه الله وجازاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحد ..

« وقوله تعالى : « وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » ، هذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . واحتجوا أيضا بقوله تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** »(١٣) .. فالتقييد « بالكثير » احتراز من الملائكة ، ومذهب أصحابنا وغيرهم أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، لقوله تعالى فى بنى اسرائيل : « **وفضلناهم على العالمين** »(١٤) ، والملائكة من العالمين .. ويتأول هذا الحديث على أن الذاكرين غالبا يكونون طائفة لا نبى فيهم ، فاذا ذكرهم الله تعالى فى خلائق من الملائكة كانوا خيرا من تلك الطائفة ..

« وقوله تعالى : « وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة » ، هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره .. ومعناه : من تقرب الى بطاعتى تقربت اليه برحمتى ، والتوفيق والاعانة ، وان زاد زدت .. فان أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى ، أتيته هرولة ، أى صببت عليه الرحمة وسبقته بها ، ولم أحوجه الى المشى الكثير فى الوصول الى المقصود .. والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه » ا هـ (١٥) .

---

(١٢) المائدة : ١١٦ (١٣) الاسراء : ٧٠ (١٤) الجاثية : ١٦

(١٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ط الشعب ، ج ٥ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤

ولهذا يروى مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قوله : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لا يذكر الله فيه : مثل الحى والميت » ..

وعند البخارى عنه : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت » ..

* * *

والذكر — فى حقيقته — ليس باللسان وحده ، بل لابد أن ينشأ أولا فى القلب والوجدان ، ثم يفيض على اللسان : حمدا ، وتسبيحا ، وتنزيها لله تعالى ..

وايمان المؤمن ، وصدق يقينه .. يجعلانه يذكر ربه فى كل وقت ، ويراه فى كل شىء .. فى أحداث الحياة ، وفى مشاهد الطبيعة .. فيأنس به ، ويثق فى قدرته ، ويرجو رحمته ..

ولا ينبغى للمسلم — الحق — أن ينسى ربه أو يغفل عنه .. والا فماذا يذكر ان نسى ربه ، وبماذا يشتغل ان غفل عنه ؟ !

والذاكر لربه .. يذكره ربه فى ملأ خير من ملأه .. والغافل عن ذكره تعالى كالميت تماما ، لما ينشئه ذكر الله فى نفس المسلم من قوة وحياة ، وما يمده به من زاد ..

وما أعظم أن يقف العبد مع ربه فى جميع أحواله .. يستعينه ويلجأ اليه حين تحوطه المكاره ، لأن مقاليد الأمور بيده تعالى وحده ، وهو سبحانه لا يرد أحدا يقف ببابه ..

وما أعظم أن يطلب العبد من ربه الهداية والتوفيق .. وأن يسأله العفو ويطلب منه المغفرة .. فهو تعالى القائل فى الحديث القدسى : « يا عبادى ، انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم » ..

وأداء الصلاة ، وتلاوة القرآن ، والدعاء والتضرع الى الله ، والاستغفار ، وغيرها من العبادات .. من ذكر الله سبحانه ..

كما أن السعي في الأرض لابتغاء الرزق .. وتحري كسبه من الحلال ، ومراقبة الله تعالى في كل حال .. أيضا نوع من ذكره تعالى .

ويقول الامام الشهيد حسن البنا :

« واعلم يا أخي أن الذكر ليس المقصود به الذكر القولي فحسب ، بل ان التوبة ذكر ، والتفكر من أعلى أنواع الذكر ، وطلب العلم ذكر ، وطلب الرزق اذا حسنت فيه النية ذكر ، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره اليك ورقابته فيه عليك ذكر ..

ولهذا .. كان العارف ذاكرا على كل حالاته ، ولابد ليكون للذكر أثره في القلب من مراعاة آدابه ، والا كان مجرد ألفاظ لا تأثير فيها » .

* * *

● **الرسول — صلى الله عليه وسلم — يعلمنا كيفية الذكر :**

لقد علمنا الرسول ﷺ كيف يكون الذكر .. كما رغبنا فيه ، وذكر أن من أوتيه فقد أوتي خيراً كثيراً ..

أخرج البخاري في باب « الصلاة » ، وكذا مسلم والنسائي في « عمل اليوم والليلة » عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ، ذهب أهل الدثور[١٦] بالدرجات العلا والنعيم المقيم .. يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال : يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون ..

فقال : « ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم » ؟

قالوا : بلى يارسول الله ..

قال : « تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين » ..

---

(١٦) أي الأموال الكثيرة ..

يقول أبو صالح ـ راوى الحديث ـ : لما سئل عن كيفية ذكرهن قال : « يقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين » ..

وزاد مسلم فى روايته : « فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله .. فقال ﷺ : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ..

وقال ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[١٧] .

وكان ﷺ يقول دبر كل صلاة حين يسلم : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »[١٨] .

وقال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت »[١٩] .

وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ، ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت

---

(١٧) متفق عليه .
(١٨) رواه مسلم .
(١٩) رواه البخارى .

وما أسررت وما أعلنت ، أنت الهى لا اله الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » ..

ويقول أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « سبق المفردون » .. قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ .. قال : « الذاكرين الله كثيرا والذاكرات »[٢٠] .

ويقول الامام ابن كثير فى الذكر :

ذكرتك لا لأنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر اللسان
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهان على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضر ... شهدتك موجودا بكل مكان
فشاطبتك موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بكل عيان

* * *

● **رقص .. وطبل .. ومزمار !!**

هذا قليل من كثير مما ورد فى فضل الذكر والتسبيح والتحميد والتهليل .. مما لا يستطيع المسلم له انكارا ، أو يجد عليه فى قلبه اعتراضا . غير أن بعض الناس « حسبوا أن الذكر آثر عند الله تعالى وأدنى لرضاه من أى عمل آخر .. أو ربما حسبوا أن درجة الاحسان لا تنال الا بطول الذكر ، سواء فى الصوامع المعزولة ، أو المجالس الحافلة ..

فكان الاستكثار من الأوراد وأنواع التلاوات .. وانتشرت المسابح فى الأيدى تعد الأصابع على حباتها ما يمكن عده من أسماء الله الحسنى »[٢١] .

وغاب عن القوم أن الذكر لا يقتصر على التسبيح والتحميد والتهليل .. فقد قال تعالى : **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »**[٢٢] .. فسمى القرآن ذكرا ..

---

(٢٠) رواه مسلم .
(٢١) للشيخ محمد الغزالى فى كتابه : «الجانب العاطفى من الاسلام» .
(٢٢) الحجر : ٩

كما غاب عنهم أن مدارسة العلم ، والتفقه فى الدين من الذكر .. فعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له : « يا أبا ذر ، لأن تغـــدو فتتعلم بابا من العلم خير لك من أن تصـــلى ألف ركعـــة » ..

وروى أن رسول الله ﷺ ، دخل المسجد يوما .. فوجد فئتين من الناس ، احداهما تسبح الله تعالى ، والأخرى تتدارس العلم .. فقال عليه الصـــلاة والسلام : « أما الأولى .. فانها تسبح الله ، ان شـــاء قبل وان شـــاء لم يقبل » وعدل وجلس مع الثانية قائلا : « انما بعثت معلما »(٢٣) .

لقد غاب عن القوم ، أن التفكر فى النعم التى أنعم الله بها على عباده نوع من الذكر .. وأن السعى على المعاش ، وتحرى الحلال فيه .. من الذكر أيضا .. يقول تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »**(٢٤) .

فسمى — تعالى — الصلاة والسعى اليها ذكرا ، وسمى الانتشار فى الأرض عقيبها وابتغاء فضل الله ذكرا كثيرا ..

ولقد رأينا كيف كان الرسول ﷺ يذكر ربه ، وكيف كان ذكره — ﷺ — تضرعا الى الله تعالى ، ضراعة النبوة والعبودية الخالصة التى تتفتح لها أبواب السماء ..

فلم يذكره — تعالى — باسم مفرد .. ولا ضرب صدره بذقنه ، ولا هز رأسه الى اخمص قدمه !!

ولم يتراوح — ﷺ — برأسه يمنة ويسرة ، ولم ينتع من سرته الى قلبه ، كما يفعل الصوفية !!

---

(٢٣) رواه الترمذى وصححه . (٢٤) الجمعة : ٩ ، ١٠

ليس فى ذكره منشد ، ولا دف ، ولا شبابة .. ولم ينصب دائرة يقف فى مركزها كالنصب يرقص الذاكرين بتصديته ..

انما كان ذكره — ﷺ — صادرا عن قلب مؤمن ضارع .. ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى .. يتوجه به الى خالقه الأعظم ، مالك الملك كله فى ايمان صادق وتوحيد خالص ..

لقد بعث — ﷺ — للناس معلما ، وهاديا ومرشدا .. فكان فى جميع أحواله الأسوة الحسنة التى يجب أن يتأسى بها المسلمون .. منذ مبعثه الى أن تقوم الساعة ..

والآن .. تعالوا الى ذكر الصوفية ، لنرى كيف يذكرون الله تعالى ؟ ؟ ..

يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل : « يوجب الصوفية على الذاكر : « أن يستحضر شيخه ، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول : مددك يا أستاذى . وأن يرى استمداده منه عين استمداده من الرسول ﷺ ، فانه الواسطة اليه .. وأن يستأذن شيخه بقلبه فيقول : دستور يا أستاذى .. وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم — وهم أصحاب السلسلة — فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقدم ..

« وهكذا توجب الصوفية على « الدرويش » أن يتلطخ بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله .. وأن يستأذن كل هذه « الأصنام » ليتقبل الله ذكره ويغمره برضاه !!

« حجب صماء تمور حولها الدياجير ، وتقصف الأعاصير .. تضعها الصوفية فى طريق السالك حتى لا يرى شعاعة من نور » !! (٢٥)

ويقول فضيلته عن كيفية الذكر : « أن يهتز من فوق رأسه الى أصل قدميه .. وأن يبدأ بـ « لا » يمينا ، ويرجع بـ « اله » فيتوسط ، ويختم « الا الله » يسارا قبلة القلب .. فان ذكر اسماً مفردا كـ « الله » ، و « هو » ضرب بذقنه على صدره .. وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت ، وينتع الكلمة من سرته الى قلبه !!

---

(٢٥) هذه هى الصوفية ، للأستاذ عبد الرحمن الوكيل — مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤

« هذه البهلوانية الرعناء هى صورة الذكر الصوفى .. ترى هل كان رسول الله — وهو يذكر ربه — يهتز من فوق رأسه الى أصل قدميه ؟ .. أو كان يضرب بذقنه الى صدره ؟ .. أو كان يميل يمنة ويسره ؟ !

« لم يفعل شيئا من ذلك ، لأنه نبى .. ولأنه رجل أبى الرجولية .. أما رفع الصوت ، فالله تعالى يقول : **« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »**(٢٦) .

ثم يحدثنا فضيلته عن صيغ الذكر الصوفى ، فيقول : « من آداب المريد مع شيخه أن يذكر ما لقنه له أستاذه ، فلا يتجاوزه الى غيره ..

« ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفى تبعا لتعدد الطرائق وتباين الشـــيوخ .. فمنهم من يذكر بالاســم المفرد ، ومنهم من يذكر بـــ « هو .. هو » .. ومنهم من يذكر بـــ « آه .. آه » .. وكل طاغوت صوفى يحرم على عبدته أن يذكروا بغير ما أذن لهم فيه .. أو أن يذكروا بما ترقص به الطرق الأخرى ، لاعتقادهم أن بعض أسماء الله تعالى قد يضر ذكرها هـــذا وينفع ذاك ، أو تضر فى حال وتنفع فى حال أخرى .. والخبير بما ينفع الذاكر أو يضره انما هو الشـــيخ ، لهذا لا يستطيع « الدرويش » أن يذكر « لا اله الا الله » الا اذا أمره بها شيخه ، ولا ينادى ربه بـــ « يالطيف » والا أصابه مس أو خبال ، أو كما يسمونه « لطف » !

« اسمع الى القديس الصوفى « ابن عطاء الله السكندرى » يفترى الاثم الأكبر فيقول : « اسمه تعالى « المعز » يليق بأذكار العوام لأنـــه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين الى الله ذكره .. واسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء .. واسمه تعالى « الغافر » يلقن لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب ، وأما من يصلح الحضرة ، فذكر مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة ..

---

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٤٤ ، والآية من سورة الاسراء : ١١٠

واسمه تعالى « المتين » يضر أرباب الخلوة ، وينفع أهل الاستهزاء بالدين » اهـ[٢٧] .

« ويستمر « ابن عطاء الله » فى سرد هذا البهتان حتى يستوفى أكثر أسماء الله .. والله تعالى يقول : **« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »**[٢٨] .

« ويقول : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون » [٢٩] .

« اسمه « الغافر » لا يصلح الا للعوام ؟ !

« كأنما أولئك الطواغيت معصومون من الذنب ، أو آلهة !! .. على حين كان يستغفر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ربه فى اليوم مائة مرة ! .. فهل تجد رحماً بين حق القرآن ، وبين باطل الصوفية ؟ ![٣٠]

ويعقب فضيلته على ذلك بقوله : « ذلك هو التصوف العملى فى شعيرتيه : الزهد ، والذكر .. فما العبادة فيه ؟

« أهى تلك الركعات أو السجدات التى لا يقر فيها قلب ولا جسد ، ولا تسلم فيها لله خاطرة واحدة ، ولا يخشع فيها شعور ، ولا يضرع دعاء ؟ .. فانما هى لأصنام القبور سجود وتسابيح ، ولجلاميدها الصم عبودية تطفح بالخشية منها والتقوى لها ، والليلاذ بها والذهول المستغرق الا عنها !!

« ألا ترى مساجد الله خرابا ، ومعابد القبور تمور بالحشود المحشودة فيها من كل صوب وحدب ؟

« ألا ترى مساجد الله التى طهرها الله من أوثان الأضرحة خاوية على عروشها ، أما المعابد التى جثم على صدرها قبر ميت ، وثوت فيها رمته أو وهمه ، فتضيق — على رحابها الفساح — بالآمين لها رجاء

---

(٢٧) نقلا عن « مفتاح الفلاح » لابن عطاء الله ، ص ٢٣ وما بعدها .. والنص منقول من « هذه هى الصوفية » .

(٢٨) الاسراء : ١١٠ (٢٩) الأعراف : ١٨٠

(٣٠) هذه هى الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥

بركات القبر والرمة البالية ، أو الوهم الخرافى المشيد عليه القبر ، أو العظام المنوعة من حيوانات شتى .. لتنصب النذور على السدنة ؟ !

« ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها واضاءتها وتبخيرها الألوف ؟! .. أما مساجد الله فتترك للغربان تسلح عليها ، وللبوم ينعب فيها » !![٣١]

* * *

● ويقول فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى : « سمعت بنفسى — رغم أنفى — من المهرجين الصاخبين فى مولد الرفاعى وهم ينشدون ويذكرون بأصوات ليس فيها أسماء ولا ضمائر .. انما هى مجرد حناجر مبحوحة تخرج الفحيح منبحا .. ثم تسمع من المنشد يضرع الى من تخيلهم أولياء ، ويعدهم بالاسم ما بين ذكور واناث ، ويطلب منهم فى ذلة وخشوع وميوعة واهتزاز ما لا يطلبه الا من الواحد القهار سبحانه !!

« بل دمى قلبى بعد نفاد دمع عينى ، حينما سمعتهم يقلدون فى أناشيدهم صوت المطربات فى حلبة الرقص بالموسيقى التوقيعية .. وهنا تتهيج الأصوات وتثور الغرائز ويتمايل الراقصون • أماماً وخلفاً ، وعن اليمين والشمال .. وخلفهم وأمامهم النساء يزغردن ويرقصن ويصفقن مشجعات مدغدغات لهذه الشهوات !!

« ووالله لقد منعوا النوم من الحى كله بصخبهم وضجيجهم حتى بعد الفجر .. وصدق من قال فى أمثالهم :

وينبحون النبح كالكـــلاب طريقهم ليس على الصواب
وليس فيهم من فتى مطيـــع فلعنـــة الله على الجميـــع

« ولو أنهم قضوا عشر هذا الوقت الصاخب فى تلاوة كتاب الله ، أو قيام الليل ، أو تعلم أحكام دينه ، أو ذكر سليم خاشع ، لكان خيرا لهم وأهدى سبيلا ، ولما كانوا عنوانا سيئاً لهذا الاسلام الحائر بـــين ظلم أعدائه وضلالة أدعيائه: « **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا** »[٣٢] .

* * *

---

(٣١) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٧

(٣٢) هذه دعوتنا ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ، والآية من سورة الكهف : ١٧

● ويحدثنا فضيلة الشيخ محمد الغزالى — جزاه الله عن الاسلام خيرا — عن واقعة حدثت أمامه فى زيارته لقطر شقيق •• فما كاد المصلون ينتهون من صلاة الجمعة — فى ذلك القطر الشقيق — الا وهرعت الجماهير الغفيرة من أتباع الطرق الصوفية الى معالجة الذكر معالجة بعيدة عن مضمونه ومعناه •• وذلك بما أسماه — فضيلته — طقوسا خرافية •• ويعنى بها « الرقص الدينى » أو ما يعرف بحلقات الذكر ••

رآهم — فضيلته — يؤدون « رقصهم الدينى » باجلال واستغراق•• شيبا وشبانا •• والعرق يقطر من جباههم وأجسامهم لطول ما يقفزون ويهتزون يمنة ويسرة ، وينعقون بألفاظ يحسبونها ذكرا لله ، وما هى الا النسيان التام ، والحجاب الغليظ !!

فلما خرج — فضيلته — من المسجد تاركا وراءه هذه الصورة المنكرة ، واحتوته ميادين العاصمة ، شاهد الأجانب — فى ذلك القطر الشقيق — مقبلين على الحياة فى عزم وأمل •• يديرون المتاجر السامقة ، وتسيل الثروة والقوة والجمال من بين أيديهم ومن خلفهم •

ويحدثنا فضيلته عن الانطباع الذى خرج به ، فيقول : « فهززت رأسى أسفا واستحياء •• وتذكرت ما قيل من أن الفقر العربى يمشى على أرض من ذهب !!

« وتساءلت : ماذا كان على هؤلاء المصلين — بعد ما فرغوا من الجمعة — لو خرجوا لينتشروا فى الأرض ، ويبتغوا من فضل الله كما أمرهم الله ؟

« ان الذين ابتدعوا هذه « الأذكار » أضلوا المسلمين ضلالا مزدوجاً !!

« أضلوهم اذ أضافوا الى ما شرع الله هذه الزيادات المتخمة السامة ••

« وأضلوهم اذ صرفوا الهمم عن أعمال أخرى كان الاقبال عليها أرجى فى دين الله ، وأدنى الى نفع الناس »[٣٣] •

---

(٣٣) ليس من الاسلام ، للشيخ محمد الغزالى ، ص ١٨٥ ، ١٨٦

ثم يقول فضيلته : « والحق أن عوام المسلمين وخاصتهم ، لهم فى ذكر الله أساليب تتفاوت بعداً وقرباً عن المعروف من كتاب الله وسنة رسوله !!

« فالذكر لم يقابل النسيان .. أى أنه وصف للقلب لا وصف للسان .

« والمرء قد يتذكر الشيء تذكرا جليا واضحا يملأ عليه أقطار نفسه ، دون أن تتحرك شفتاه أو تختلج فى جسمه عضلة .. بل ان سكون بدنه أعون له على الاستذكار ، وكلما هدأ واستغرق اكتملت فى ذهنه الصور التى يريد أن يتمثلها . وحركة اللسان — عندئذ — انما تأتى نتيجة — غير محتومة — لاستفاضة الوجدان بما فيه ..

« ورب ساكت لا تسمع منه حرفا ، وقلبه عامر بذكر الله . ورب متحدث عن الله بلسانه ، وفؤاده عن الله مشغول أو معزول .. فهو أشبه « بالأشرطة » المسجلة للقرآن الكريم ، ترددده كما أنزل وليس عليها من حساب فى ثواب أو عقاب !!

« ولا أنكر أن الاسلام قد شرعت فيه أذكار شتى .. يقولها مؤمن بلسانه ولا يكتفى فيها بجنانه .. ولكن هذا الذكر باللسان لا يتم ويرتفع الا اذا كان اللسان مفتاحا للقلب . ومحركا له من خمود ..

« وهناك عبارات خاصة ذكرتها السنن الثابتة ، وقرنت بترددها ثواباً جزيلا ، أو رتبت على تكرارها أجرا رفيعا .. غير أن هذه الجمل المأثورة لا تعدو فى غاياتها الأناشيد الحماسية التى تصنعها الأمم فى عصرنا هذا ، كى تمجد الأوطان وتحبب الى النفوس البذل فى سبيلها ..

« فجماهير الطلاب والعمال — حين يرفعون عقائرهم بهذه الأناشيد، وحين تبرق أعينهم وتهتز أذرعتهم — يظهرون بهذه المشاعر الفائرة لونا من الحب لبلادهم يستحق التقدير .. لكن أحدا من أولئك المنشدين لا يفهم أن خدمة بلاده تنتهى بهذا الصياح مهما قارنه من اخلاص !!

« فدراسة العلم والانتظام فى فصوله ، والادمان على كتبه :

هو واجب التلميذ نحو أمته .. واتقان العمل والاستقرار فى مصانعه ، والعكوف على أجادته : هو الواجب الأول للعامل نحو أمته ..

« وتلاوة النشيد القومى ، لا صلة لها البتة بهـذه الواجبات المحتومة .. بل قد ترجأ الى أوقات الراحة بعد استفراغ الجهد من القيام بالحقوق المقررة .. ولو أن تلميذا اكتفى من حب بلاده بغناء النشـيد القومى مثنى وثلاث .. ما اعتبره الناس الا شخصا أحمق » !![٣٤]

ثم يقول فضيلته : « كذلك شرعت — فى دين الله — طائفة من الأدعية والأوراد المأثورة .. تضمنت معانى جليلة من تسـبيح الله وتمجيده وتقديسه .. يهتز لها ضمير المسلم وينشرح بها صدره ..

« والحكمة من شرع هذه الأذكار ، ربط القلوب بالله على نحو مباشر ، وبطريقة حارة .. وجميل بالمسلم أن يواظب على هذه المأثورات ، وأن يدع آثارها الكريمة تنطبع فى نفسه ..

« بيد أن من الغلط البالغ ، أن يعدو بها قدرها فيحسب أن ترددها يغنى عن الأعمال التى نيطت بحياته ووزعت على أوقاته ..

« أجل .. قد يسمح من المسلم أن يذكر الله بلسانه على شريطة ألا ينساه فى أعماله وأحواله .. فالذكر الأصيل المفروض : أن يعرف المرء ربه وقت النفقة فيكرم ، وحين البأس فيقدم ..

« فاذا نسيه فى هذه أو تلك ، فهو خاسر .. كما قال تعالى فى كتابه الكريم : **« لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »**[٣٥] .

« نعم .. هم خاسرون ولو صاحوا بذكر الله حتى شقوا أجواز الفضـاء !!

« ثم ان الذكر — لكى يصحبه فقه وتدبر — لا يكون بألفاظ مفردة يكررها الانسان مئات وألوفا .. فان الذكر كلام ، والكلام لابد — ليستفاد منه معنى معقول — أن يتكون من جملة كاملة ..

---

(٣٤) ليس من الاسلام : مرجع سابق ، ص ١٨٧ — ١٨٨

(٣٥) المنافقون : ٩

« هبك أردت أن تذكر شخصا اسمه عمر ، فهل يحلو ذكره بأن تقول : عمر .. عمر .. عمر .. الخ ؟ !

« وهل اذا قال الله عز وجل : « **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم** »(٣٦) ، كان تنفيذ هـذا الأمر بترديد بعض النعم التى نعرفها فنقول : خبز .. خبز .. خبز ، أو لحم .. لحم .. لحم !!

« ان فهم كلام الناس على هذا النحو السمج سقوط فى التفكير .. فكيف تسلط هـذه الأفهام على كلام رب الناس فتنزل به بدل أن يرتفع بهـا ؟ !

« ومع ذلك ، وجد من العوام جمهور غفير يرقص بكلمات مبتورة ، ويزعم هوسه هـذا ذكراً لله !!

« على أننا لا نعطى أحدا من البشر — مهما علا شأنه — أدنى حق فى اختلاق صيغ لذكر الله والزام قوم — قليل أو كثير — بهـا .. بل لا يجوز فى الصيغ الواردة نفسها أن ترسم لها أوقات مخصوصة أو أعداد معينة ، مادام الشارع قد أطلقها من هذه القيود ..

« واذا ساغ لأى من الناس أن يضع لنفسه منهاجا فى القراءة والدعاء والذكر — وفق حاجاته الخاصة — فليس له أن يعتبر ذلك شرعا عاما ، وأن يفرض على الناس اتباعه .. ان ذلك لم يحدث فى الشعر .. فكيف يحدث فى الدين ؟ !

« حدث أن ألف المعرى ديوانا أسماه « لزوم ما لا يلزم » ، جعل رويه على عدة أحرف .. والعرب — فى قصائدها الطوال والقصار — لا توجب ذلك .. فكان صنيع المعرى — هذا — موقوفا عليه ، ولم ير الشعراء مدعاة لاتباعه فيه ..

« الا أن العقل العام فى ميدان الشعر تحول الى حماقة فى ميدان الدين .. فوجد من أرباب الطرق من صنع للصباح والمساء أورادا حافلة ، وضمها الى الصلوات الموقوتة ديناً مع الدين !!

---

(٣٦) فاطر : ٣ .

« ولا تقولن : الذكر خير ، والاستكثار منه ليس شناعة تستحق النكير •• فان الذكر خير حقا ، والاستكثار منه — فى حدود ما شرع الله — أمر ندعو اليه ، ولا يتصور أن يعترض مسلم عليه ••

« وما شرع الله من ذكر ، أوسع من أن يكون حديث لسان أو ترديد كلام •• ان الذكر الذى ارتضاه الله دينا ، وقبله من عباده قربة ، أعمق أثرا وأرفع أجرا من هذه الطقوس الذى اصطنعها أرباب الطرق فقطعوا بها الطريق ••

« وحكمة الله فى تشريعه ، تجعل العبادات المرسومة على قدر مرسوم •• لا تصلح النفوس بما دونه ولا بما فوقه •• ومن التهور أن تحسب الاستكثار من شىء ما — لأنه دواء — أمراً محموداً !!

« ألا ترى أن تناول قرص أو قرصين من « الاسبرين » شفاء من الصداع •• فاذا أردت الانتحار تناولت جملة فاحشة من هذا الدواء ؟ !

« لقد رأينا مدمنى « الأوراد والوظائف » ضائعين فى ميدان العلم والتربية •• ورأينا الاسلام قد تأخر بهم فى ميادين الكفايات والانتاج •• والعلة فى هذا الارتكاس ، أن القوم ضلوا عن هدى رسول الله ﷺ ، فزاغوا عن الصراط المستقيم »[٣٧] .

ويقول فضيلته : « لقد كان من أسباب انهيار الحضارة الاسلامية سوء الموقف من الدنيا وعلومها ، وبناء التربية الدينية على أفكار غيبية شاعت بين فريق من المتصوفة والزهاد والفقهاء الصغار !!

« ولنفرق بين النوعين فى التذكر والتفكر •• فان الشائع بين جماهير العابدين الذكر العددى •• وهو ذكر تافه لا يفتح أغلاق القلب ، ولا يوسع آفاق النظر •• وصورته أن يردد اللسان اسماً من أسماء الله الحسنى عشرات أو مئات أو ألوف المرات •• وقد تضاحك الظرفاء لأن الذاكر الذى يصيح : « ياللطيف » أعدادا متتابعة تتحول الكلمة على لسانه « فلطى فلطى » •• وهى كلمة تشبه بغام الدواب ، ولا تعنى شيئا !!

---

(٣٧) ليس من الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ — ١٩١

« ان هذا الذكر قليل الغناء .. وقد استحسنه العباد من عند أنفسهم ، لا من عند الله .. فان الفكر الانسانى المتعرف على ربه أشرف من ذلك وأجل .. ..

« اذا قال الله تعالى : « **انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** »[٣٨] .. فهل هذا الأمر يعنى النظر العالم ؟ ، أو النظر القاصر ؟ ، أو النظر العقيم ؟ !

« وهل تكرار هذا النظر التافه ، يفيد يقظة أو ثقافة .. أو يفتق أمام العقل منفذاً يصله بعظمة الله وآياته ؟ ؟

« والواقع أنه ما يوجد فى كتاب دين أمر بالنظر فى الكون كالقرآن الكريم .. وما يوجد ناس فى قرونهم الأخيرة عموا عن النظر فى الكون كجمهور المسلمين » اه [٣٩] ..

* * *

ونقول : ولهذا لم ير الرسول ﷺ العدد — قل أو كثر — قيمة فى الذكر .. روت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها ، أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها .. ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال : « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها » ؟ . قالت : نعم .. فقال ﷺ : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته »[٤٠] .

وعن عمرو بن يحيى قال : سمعت أبى يحدث عن أبيه قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة ، فاذا خرج

---

(٣٨) الأنعام : ٩٩

(٣٩) الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، مرجع سابق ، ص ٦٦ ، ٦٧

(٤٠) رواه مسلم

مشينا الى المسجد .. فجاءنا أبو موسى الأشعرى فقال : أخرج اليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا : لا .. فجلس معنا حتى خرج ..

فلما خرج قمنا اليه جميعا ، فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن ، انى رأيت فى المسجد آنفا أمرا أنكرته .. ولم أر — والحمد لله — الا خيرا .. قال : فما هو ؟ .. قال : ان عشت فستراه ، رأيت فى المسجد قوما جلوسا ينتظرون الصلاة ، فى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصى ، فيقول الرجل : كبروا مائة .. فيكبرون مائة ، فيقول : هللوا مائة .. فيهللون مائة ، ويقول : سبحوا مائة .. فيسبحون مائة !!

قال : فماذا قلت لهم ؟ .. قال : ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك ، وانتظار أمرك .. قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شىء ؟

ثم مضى ومضينا معه .. حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليها فقال : ما هذا الذى أراكم تصنعون ؟ !

قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح ..

قال : فعدوا سيئاتكم ، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شىء !! ويحكم يا أمة محمد !! ما أسرع هلكتكم !! صحابة نبيكم متوفرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر !! والذى نفسى بيده انكم لعلى ملة هى أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة !!

قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير !!

قال : وكم من مريد للخير لم يصبه .. ان رسول الله ﷺ حدثنا : أن قوما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وأيم الله ما أدرى لعل أكثرهم منكم ..

ثم تولى عنهم !!

يقول عمرو بن سلمة : رأيت عامة أولئك الخلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج !!

ولهـذا يقول عبد الله بن مسـعود رضى الله عنه : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم » ..

والبدعة — كما قدمنا — هى الطريقة فى الدين مخترعة ، تضاهى الطريقة الشرعية ، ويقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالشرعية .. أو يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى ..

وما قامت العبادات ، الا على الاتباع المحض لمـا أمر الله تعالى به ، وسنه رسوله ﷺ .. وانما الابتداع فى العبادات هو الجور والضلال ..

لقد زعم المشركون حين أرادوا تسويغ عبادة الأصنام أنها وسائط الى الله تعالى .. وحين طافوا بالكعبـة عرايا احتجوا لذلك بأنهم لا يبغون الطواف بملابس عصوا الله تعالى فيها !!

ولهذا نرى الرسول ﷺ يقول — فيما يرويه مسلم — : « ان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد — ﷺ — وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » ..

* * *

● سئل « ابن تيمية » عن اجتماع الناس للذكر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحوقلة ، والصلاة على النبى ﷺ وما يصحب ذلك من تصفيق وتمايل وانشاد .. فأجاب رحمه الله :

« الاجتماع لذكر الله تعالى ، واسـتماع كتابه والدعاء : عمل صالح ، وهو من أفضل القربات والعبادات فى الأوقات ..

ففى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « ان لله ملائكة سيارة فضلا ، يتبعون مجالس الذكر ، فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا .. فاذا افترقوا عرجوا وصعدوا الى السماء .. فيسألهم الله عز وجل — وهو أعلم — من أين جئتم ؟ .. فيقولون : جئنا من عند عباد لك فى

الأرض : يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك .. قال : وماذا يسألونى ؟ .. قالوا : يسألونك جنتك .. قال : وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا ، أى رب .. قال : فكيف لو رأوا جنتى ؟

قالوا : ويستجيرونك .. قال : وممم يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك يارب .. قال : وهل رأوا نارى ؟ .. قالوا : لا .. قال : فكيف لو رأوا نارى ؟

قالوا : ويستغفرونك . فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاروا ..

قال : فيقولون : رب ، فيهم فلان — عبد خطاء — انما مر فجلس معهم .. فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[٤١] .

ثم يقول ابن تيمية : « لكن ينبغى أن يكون هذا أحيانا فى بعض الأوقات والأمكنة .. فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها الا ما سن رسول الله ﷺ المداومة عليه فى الجماعات ، من الصلوات الخمس فى الجماعات ، ومن الجمع والأعياد ونحو ذلك ..

« وأما محافظة الانسان على أوراد له من الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء طرفى النهار وزلفاً من الليل ، وغير ذلك .. فهذا سنة رسول الله ﷺ والصالحين من عباد الله قديما وحديثا .. فما سن عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات فعل كذلك ، وما سن المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد ، عمل كذلك ..

« كما كان الصحابة رضى الله عنهم يجتمعون أحيانا ، يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون .. وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يقول : « يا أبا موسى ، ذكرنا ربنا » .. فيقرأ وهم يستمعون .. وكان من الصحابة من يقول : « اجلسوا بنا نؤمن ساعة »..

---

(٤١) كيف لا ؟ وقد اجتمعوا فى مجلس علم يتذاكرون الجنة والنار ، ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، والحديث رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

« وصلى النبى ﷺ بأصحابه التطوع فى جماعة مرات .. وخرج على الصحابة من أهل الصفة وفيهم قارىء يقرأ فجلس معهم يستمع ..

« وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ، ودمع العين ، واقشعرار الجسوم .. فهذا أفضل الأحوال التى نطق بها الكتاب والسنة ..

« وأما الاضطراب الشديد ، والغشى ، والموت ، والصيحات .. فهذا ان كان صاحبه مغلوبا عليه لم يلم عليه — كما قد كان يكون فى التابعين من بعدهم — فان منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب ، والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبى ﷺ والصحابة .. وأما السكون قسوة وجفاء فهذا مذموم لا خير فيه ..

« وأما ما ذكر من السماع .. فالمشروع الذى تصلح به القلوب ويكون وسيلتها الى ربها بصلة ما بينه وبينها .. هو سماع كتاب الله الذى هو سماع خيار هذه الأمة .. لاسيما وقد قال ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » .. وقال : « زينوا القرآن بأصواتكم » .. وهو السماع الممدوح فى الكتاب والسنة .

« لكن ، لما نسى بعض الأمة حظاً من هذا السماع الذى ذكروا به .. ألقى الشيطان بينهم العداوة والبغضاء .. فأحدث قوم سماع القصائد والتصفيق والغناء .. مضاهاة لما ذمه الله من المكاء والتصدية ، والمشابهة لما ابتدعه النصارى ..

« وقابلهم قوم قست قلوبهم عن ذكر الله وما نزل من الحق ، وقست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، مضاهاة لما عابه الله على اليهود ..

« والدين الوسط .. ما عليه خيار هذه الأمة قديما وحديثا ، والله أعلم »[٤٢] .

* * *

● ويقول ابن القيم عن الرقص والتمايل ، وما يصحبه من غناء

---

(٤٢) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، ط دار المعرفة ببيروت ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

وانشاد ، وسماع وتصفيق ، وضرب بالدفوف وقرع بالطبول ، وعزف بالمزامير .. تلك الطقوس التى ابتدعها القوم عند الذكر :

« ومن مكايد عدو الله ومصايده ، التى كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة ، الذى يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ..

« فهو قرآن الشيطان ، والحجاب الكثيف عن الرحمن .. وهو رقية اللواط والزنا ، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى ..

« كاد به الشيطان النفوس المبطلة ، وحسنه لها مكرا منه وغرورا .. وأوحى اليها الشبه الباطلة على حسنه ، فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجورا !!

« فلو رأيتهم عند ذياك السماع ، وقد خشعت منهم الأصوات ، وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصبت انصبابة واحدة اليه .. فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان ، وتكسروا فى حركاتهم ورقصهم أرأيت تكسر المخانيث والنسوان !!

« ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس ، ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكؤوس .. فلغير الله — بل للشيطان — قلوب تمزق ، وأثواب تشقق ، وأموال فى غير طاعة الله تنفق !!

« حتى اذا عمل السكر فيهم عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله .. واستفزهم بصوته وحيله ، وأجلب عليهم برجله وخيله .. وخز فى صدورهم وخزاً ، وأزهم الى ضرب الأرض بالأقدام أزاً !!

« فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار ، وتارة كالدباب ترقص وسط الديار !!

« فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام .. ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام .. وياشماتة أعداء الاسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الاسلام »[٤٣] اهـ .

---

(٤٣) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن قيم الجوزية ، ط دار التراث العربى ، ص ١٩٣ ، ١٩٤

[ونقول : وهل ما يفعله جهال الصوفية اليوم من التحلق والرقص ، والتمايل على أنغام الغنـــاء والصياح ، والاهتزاز والتصفيق بالأيدى والدبيب بالأرجل — مما يطلقون عليه زورا أنه ذكر لله !! — هل ما يفعله هؤلاء الأغرار المفتونين الا الفسوق والعصيان ، وذكر للشيطان من دون الرحمن] ؟ !

ثم يقول ابن القيم — رحمه الله — واصفا حال هؤلاء القوم :

« قضوا حياتهم لذة وطربا ، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً .. مزامير الشيطان أحب اليهم من استماع سور القرآن !!

« لو سمع أحدهم القرآن من أوله الى آخره ، لمـــا حرك له ساكنا ، ولا أزعج له قاطنا ، ولا أثار فيه وجدا ، ولا قدح فيه من لواعج الشوق الى الله زندا !!

« حتى اذا تلى عليه قرآن الشيطان ، وولج مزموره سمعه تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت ، وعلى أقدامه فرقصت ، وعلى يديه فصفقت ، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت ، وعلى أنفاسه فتصاعدت ، وعلى زفراته فتزايدت ، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت !!

« فيا أيها الفاتن المفتون ، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون .. هلا كانت هذه الأشجان ، عند سماع القرآن ؟ .. وهذه الأذواق والمواجيد ، عند قراءة القرآن المجيد ؟ .. وهذه الأحوال السنيات ، عند تلاوة السور والآيات ؟ !

« ولكن كل امرىء يصبو الى ما يناسبه ، ويميل الى ما يشاكله .. والجنسية علة الضم قدراً وشرعا ، والمشاكلة سبب الميل عقلا وطبعا !!

« فمن أين هذا الاخاء والنسب ، لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب .. ومن أين هـــذه المصالحة التى أوقعت فى عقد الايمان وعهد الرحمن خللا ؟ ؟

« أفتتخذونه وذريته أوليـــاء من دونى وهم لكم عـــدو ، بئس للظالمين بدلا »(٤٤) .

---

(٤٤) الكهف : ٥٠

وقد أحسن القائل :

تلى الكتاب ، فأطرقوا ، لا خيفة ... لكنه اطراق ساه لاهى
وأتى الغناء ، فكالحمير تناهقوا ... والله ما رقصوا لأهل الله
دف ومزمار ، ونغمة شادن ... فمتى رأيت عبادة بملاهى ؟
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهى
سمعوا له رعدا، وبرقا، اذ هوى ... زجرا وتخويفا بفعل مناهى
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها ، ياويحها المتناهى
وأتى السماع موافقا أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابه ، عند الجهول الساهى ؟
ان لم يكن خمر الجسوم ، فانه ... خمر العقول مماثل ومضاهى
فانظر الى النشوان عند شرابه ... وانظر الى النسوان عند ملاهى
وانظر الى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهى
واحكم فأى الخمرتين أحق بالتحـ ... ـريم ، والتأثيم عند الله ؟ »(٤٥)

ويعقب ابن القيم على هذا بقوله :

« وقد تواتر عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة — يسمونه التغبير — يصدون به الناس عن القرآن » ..

« فاذا كان هذا قوله فى التغبير ، وتعليله أنه يصد عن القرآن .. وهو شعر يزهد فى الدنيا ، يغنى به مغن فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخدة على توقيع غنائه — فليت شعرى ، ما يقول فى سماع « التغبير » عنده كتفلة فى بحر ، فقد اشتمل على كل مفسدة ، وجمع كل محرم .. فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون ، وعابد جاهل ..

« قال سفيان بن عيينة : « كان يقال : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل .. فان فتنتهما فتنة لكل مفتون » ..

---

(٤٥) اغاثة اللهفان ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ ، ١٩٥

« ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة ، وجده من هذين الفنونين »(٤٦) .

ويقول ابن القيم فى قصيدة طويلة :

«ذهب الرجال وحال دون مجالهم زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم ساروا ، ولكن سيرة البطال
لبسوا الدروق مرقعاً ، وتقشفوا كتقشف الأقطاب والأبدال
قطعوا طريق السالكين وغوروا سبل الهدى ، بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى وحشوا بواطنهم من الأدغال
ان قلت : قال الله ، قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالى
أو قلت : قد قال الصحابة والألى تبعوهم فى القول والأعمال
أو قلت : قال الآل ، آل المصطفى صلى عليه الله ، أفضل آل
أو قلت : قال الشافعى ، وأحمد وأبو حنيفة ، والامام العالى
أو قلت : قال صحابهم من بعدهم فالكل عندهم كشبه خيال
ويقول : قلبى قال لى ، عن سره عن سر سرى ، عن صفا أحوالى
عن حضرتى ، عن فكرتى ، عن خلوتى عن شاهدى ، عن واردى ، عن حالى
عن صفو وقتى ، عن حقيقة مشهدى عن سر ذاتى ، عن صفات فعالى
دعوى ، اذا حققتها ألفيتها ألقاب زور ، لفقت بمحال

* * *

تركوا الحقائق والشرائع ، واقتدوا بظواهر الجهال والضلال
جعلوا المرا فتحا ، وألفاظ الخنا شطحا ، وصالوا صولة الادلال
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم نبذ المسافر فضلة الأكال
جعلوا السماع مطية لهواهم وغلوا ، فقالوا فيه كل محال :
هو طاعة ، هو قربة ، هو سنة صدقوا لذاك الشيخ ذى الاضلال
شيخ قديم ، صادهم بتحيل حتى أجابوا دعوة المحتال
هجروا له القرآن والأخبار والآ ثار ، اذ شهدت لهم بضلال
ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى من أوجه سبع لهم بتوالى

* * *

---

(٤٦) اغاثة اللهفان ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

تأثله ما ظفر العدو بمثلها ... من مثلهم ، واخيبة الآمال
نصب الحبال لهم ، فلم يقعوا بها ... فأتى بذا الشرك المحيط الغالى
فاذا بهم وسط العرين مخرقى الأ ... ثواب ، والأديان ، والأحوال
لا يسمعون سوى الذى يهوونه ... شغلا به عن سائر الأشغال
ودعوا الى ذات اليمين ، فأعرضوا ... عنها ، وسار القوم ذات شمال
خروا على القرآن عند سماعه ... صماً وعمياناً ذوى اهمال
واذا تلا القارى عليهم سورة ... فأطالها ، عدوه من الأثقال
ويقول قائلهم : أطلت وليس ذا ... عشر ، خفف ، أنت ذو املال
هذا ، وكم لغو ، وكم صخب لهم ... ضحك بلا أدب ، ولا اجمال

* * *

حتى اذا قام السماع لديهم ... خشعت له الأصوات بالاجلال
وامتدت الأعناق ، تسمع وحى ذا ... ك الشيخ من مترنم قوال
وتحركت تلك الرؤوس ، وهزها ... طرب ، وأشواق لنيل وصال
فهنالك الأشواق والأشجان والأ ... حوال ، لا أهلا بذى الأحوال
تاللـه لو كانوا صحاة أبصروا ... ماذا دهاهم من قبيح فعال
لكنما سكر السماع أشد من ... سكر المدام ، وذا بلا اشكال
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة ... نالت من الخسران كل منال

* * *

يا أمة لعبت بدين نبيها ... كتلاعب الصبيان فى الأوحال
أشمتموا أهل الكتاب بدينكم ... والله لن يرضوا بذى الأفعال
كم ذا نعير منهم بفريقكم ... سرا وجهلا عند كل جدال
قالوا لنا : دين عبادة أهله ... هذا السماع ، فذاك دين محال
بل لا تجىء شريعة بجوازه ... فسلوا الشرائع تكتفوا بسؤال
لو قلتموا فسق ، ومعصية وتر ... يين من الشيطان للأنذال
ليصد عن وحى الاله ودينه ... وينال فيه حيلة المحتال
كنا شهدنا أن ذا دين أتى ... بالحق ، دين الرسل ، لا بضلال
والله منهم قد سمعنا ذا الى الآ ... ذان من أفواههم بمقال
. . . . . (٤٧)

(٤٧) اغاثة اللهفان ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠

وهى قصيدة طويلة .. اكتفينا منها بهذه الأبيات ، لكى ندلل على فساد عقيدة القوم فى الانشاد والسماع — اللذين ينسبونهما زورا وبهتانا الى الذكر والمديح — وما هما من ذكر الله أو مديح رسوله ﷺ ، والاسلام منه براء !!

لقد ذم الله تعالى أهل الكتاب بابتداعهم الرهبانية فى دينهم .. فقال : « **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون** »(٤٨) .

فلماذا نبتدع فى دين الله ما لم ينزل به سلطانا ؟ !

لماذا ننسب الى الرسول ﷺ التقصير فى البلاغ ، فندخل فى عبادتنا ما لم يأتنا به ؟ !

لماذا لا نعود الى كتاب ربنا ، وسنة نبينا .. لنأخذ منهما لدينا ودنيانا ؟ !

لماذا يتمسك البعض منا بهذه البدع المنكرة .. فى حين نرى بعض شيوخ الصوفية نفسها ينكر هذه البدع على أصحابها ويعدها من الدخيل والدسيس الذى تسلل الى الصوفية فأفسدها وأساء اليها ؟ !

سئل فضيلة الشيخ محمد زكى ابراهيم(٤٩) : عن استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء ، وغيرها من الحركات غير اللائقة فى كثير من حلقات الذكر !!

كما سئل : عن تحريف أسماء الله تعالى باصدار الأصوات الساذجة غير المفهومة !!

فأجاب فضيلته : « أما استخدام الرقص ، والطبل ، والزمر ، والغناء — فيما يسمى حلقات الذكر — فليس من دين الله — قولا واحدا — سواء عند أئمة الصوفية أو غير الصوفية .. وانما هو من الدخيل والدسيس الذى تسلل الى التصوف فأفسده وأساء اليه .

---

(٤٨) الحديد : ٢٧

(٤٩) شيخ الطريقة المحمدية الشاذلية ، ورائد العشيرة المحمدية ..

« ينقل الشيخ « ابن الحاج » فى « مدخل الشرع الشريف » :
« قلنا : وقد عاب الله نحو ذلك على المشركين من قبل فقال : **« وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية »**[٥٠] ـ يعنى تصفيرا وتصفيقا ـ وهما من لوازم الطبل والزمر والرقص !!

« ان الرقص والطبل والزمر ، لا شك هو لهو ولعب ، فاذا اتخذناه دينا كان افتراء على الله ، وهو تعالى يقول : **« وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا »**[٥١] .

« ويقول : **« الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون »**[٥٢] .

« والله تعالى .. لا يأمرك بترك شىء هو قربة اليه .. فاذا كرر الأمر كان معنى ذلك أنه شىء يغضب له غضبا مضاعفا ، لما فيه من تعد عن حدوده تعالى ، وعلى حدوده ..

« يقول شاعر الصوفية :

ياعصبة ، ما ضر أمة أحمد ... وسعى على انسادها الا هى
طار ، ومزمار ، ونغمة شادن ... أتكون قط عبادة بملاهى !!

« وانما يعبد الله بما شرع ، وفيما شرع الله تعالى سعة وكفاية ، ومتعة روحية بغير حدود .. والعبادة جد كلها ، وهو تعالى يقول : **« لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون »**[٥٣] ومن شاء لهواً مباحاً ، فليبتعد به عن العبادة وعن التصوف »[٥٤] .

ثم يقول ـ جزاه الله خيرا ـ : « أما تحريف أسماء الله الحسنى فى حلقات الذكر .. فاجماع أئمة التصوف على أنه حرام موبق .. وحسبك فيه قوله تعالى : **« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا**

---

(٥٠) الأنفال : ٣٥ (٥١) الأنعام : ٧٠
(٥٢) الأعراف : ٥١ (٥٣) الأنبياء : ١٧ ، ١٨
(٥٤) راجع مجلة التصوف الاسلامى ـ العدد ٧٢ ـ جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ (فبراير سنة ١٩٨٥ م) ، ص ٢٨ ، ٢٩

الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون »[٥٥] .. فهذا أمر بالذكر مع نهى شديد عن تحريفه والتحذير من الصلة بمن يحرفونه — أى يلحدون فيه — واعلان أنهم سيجزون بسوء عملهم ، فيكون هذا الاعلان بمثابة انذار ونهى شديد مكرر حتى ندع من يحرفون أسماءه تعالى .. فكيف بحكم المحرفين أنفسهم ؟ !

« وهذا الالحاد يشمل نحو قولهم « ها .. ها » أو « هى .. هى » أو « آه .. آه » ، وغير ذلك من الأصوات الساذجة الحمقاء ، التى لا تكون أبدا من كرام الناس ولا أفاضلهم .. لا أسلوبا ولا أداء — لكن المأخوذ عن نفسه لا يؤاخذ لأنه ممن رفع عنه القلم (!!) — ولهذا وجبت التفرقة الشرعية بين هذا وذاك .. .

« وفى هذا يقول الشيخ « الأخضرى » فى أرجوزية الصوفية :

أبقوا من اسم الله حرف الهاء فألحدوا فى أعظم الأسماء
لقد أتوا ، والله ، شيئا اداً تخر منه الشامخات هداً

« ويلحق بهذا ، نطقهم باسم الله على غير وصفه الشريف .. من نحو ضم ألفه الأولى ، أو كسرها ، مع قصر ألفه الوسطى ، ومع تخفيف لامه أو تغليظها مما يخرجه عن منطوقه القرآنى الى منطوق سوقى محرم .. وخصوصا مع ما يسمونه « الدوكة » — أى تغليظ الصوت » اهـ[٥٦] .

* * *

وبعد .. لقد سمى الله تعالى الامتثال لهديه وطاعته فى الحياة الدنيا ذكرا .. واعتبر من أعرض عن الهداية ونبذ الطاعة معرضا عن ذكره ، وكما كان الانسان غافلا فى دنياه ، متعاميا عن تعاليم الله وهدى رسوله ، فسوف يكون يوم العرض فاقدا للحجة ، عاجزا عن المدافعة ..

لقد تعامى فى الدنيا ، لذا يعميه الله فى الآخرة .. وسيجد أمامه

---

(٥٥) الأعراف : ١٨٠

(٥٦) مجلة التصوف الاسلامى — مرجع سابق ص ٢٩ .

من العذاب والصغار والهوان ، ما يهون الى جانبه كل عنت وضيق وشدة مرت به فى حياته الدنيا .. جزاء وفاقا لتغافله وتعاميه عن هدى الله ورسوله ..

يقول تعالى : « **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى** »(٥٧) .

ولقد سمى الله تعالى القرآن ذكرا فقال : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** »(٥٨) .

وسمى الصلاة ذكرا فقال : « **وأقم الصلاة لذكرى** » (٥٩) .

وسمى السعى فى سبيل الرزق الحلال بعد أداء الصلاة ذكرا فقال : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » (٦٠) .

واعتبر — تعالى — الاعراض عن اتباع هداه اعراضا عن ذكره .. فهل ما نراه اليوم .. من رقص وتمايل وتصفيق وتطبيل وتزمير ، والحاد فى أسمائه تعالى ، هو ذلك الذكر الذى يريده الله منا ؟ !

أليس ما نشاهده اليوم من بدع فى الدين هو الاسراف بعينه ؟ !

ألم يتوعد الله المسرفين الغافلين عن آيات ربهم ، المبتدعين فى دينهم بقوله جل شأنه : « **وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** »(٦١) ؟

هل ما نراه اليوم من هذه البدع المنكرة ، هو الوقار المطلوب منا لله تعالى ؟ !

اللهم انا نعوذ بك من الزيغ والضلال ، ونسألك الهدى والتقى والرشاد ..

---

(٥٧) طه : ١٢٤ — ١٢٦
(٥٨) الحجر : ٩
(٥٩) طه : ١٤
(٦٠) الجمعة : ١٠
(٦١) طه : ١٢٧

ولا نجد ما نقوله للاخوة الذين أزاغهم الشيطان ، فأبعدهم عن الطريق الواضح للاسلام الا أن نقول كما قال الرسول ﷺ لأهل الكتاب ، امتثالا لأمر ربه : « **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** »(٦٢) .

تعالوا بنا الى طريق الاسلام الواضح البين .. فلا نعبد غير الله ، ولا ندعو غير الله ، ولا نأمل فى غير الله ، وأن نبرأ من كل معبود سواه .. ولا نشرك فى عبادتنا له تعالى وثنا أو صنما أو صليبا أو شيخا أو طاغوتا .. وألا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فى معصية الله .. فلا نعظم ولا نطوف ولا نتوسل بحى أو ميت .. انما نتوسل الى الله تعالى بأسمائه وصفاته ، ونتخذ من أعمالنا الصالحة الوسيلة الى التقرب اليه تعالى بطاعته وامتثال أوامره ..

هذا ما نقوله لاخوتنا الذين ضلوا السبيل .. فان هم أعرضوا عما ندعوهم اليه من الكلمة السواء التى أمر الله نبيه ﷺ باعلانها واضحة جلية .. فما علينا الا أن نقول لهم — كما أمرنا الله تعالى من قبل : « **اشهدوا بأنا مسلمون** » .. آمنا بالله وحده رباً .. وبالرسول ﷺ نبيا ، ومعلما وهاديا ومرشدا .. ولنا فى سنته ﷺ الأسوة كل الأسوة .. وفى سيرته وحياته ومماته ، القدوة كل القدوة .. وانا لله وانا اليه راجعون ..

* * *

(٦٢) آل عمران : ٦٤